الباب الثالث

تائبـــون ونادمـــون

obeikandl.com

obeikandl.com

الباب الثالث
تائبـــون ونادمـــون

لما ذكرت قصص وأحوال العشاق المخذولين ونهاياتهم المرة، ثم ذكرت بعدها قصص الذين عصمهم الله عن الوقوع في الرذيلة، أحببت أن أتبعهما ببعض قصص التائبين إلى الله، لعل في ذلك عبرة لمن أسرف في فعل المعاصي، وقبل ذلك أذكر شيئا من الأدلة عن فضل التوبة والتائبين:

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿**أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ [التوبة: ١٠٤]. وقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ [النساء:٤٨].

وقال الله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ**﴾ [الشورى: ٢٥].

وقال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾ [النساء: ١٧]. وقال تعالى: ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى**﴾ [طه:٨٢].

وعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «**إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**»(١).

وقال تعالى: ﴿**وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ**﴾ [النساء: من الآية١٨].

وقال ﷺ: «**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»(٢).

---

(١) رواه مسلم [٢٧٥٩].

(٢) رواه أحمد والترمذي وغيرهما وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير ١٩٠٣.

وفي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ عزَّ وَجلَّ أَنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي وَاللهِ للهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِه مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْفَلاةِ وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ أُهَرْوِلُ».

فالتوبة واجبة لأنها دفع ضرر عن النفس وحقيقتها هي :الندم والعزم على ترك المعاصي وهي مكفرة للذنوب. لقوله ﷺ: «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**»(١).

وقال الشاعر:

أسأت ولم أحسن وجئتك تائباً ... وأني لعبد عن مواليه يهرب

يؤمل غفراناً فإن خاب ظنه ... فما أحد منه على الأرض أخيب

القصة الأولى
توبة ماعز

فعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: (جَاءَ مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي فَقَالَ وَيْحَكَ ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرْ اللَّهَ وَتُبْ إِلَيْهِ قَالَ: فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَيْحَكَ ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرْ اللَّهَ وَتُبْ إِلَيْهِ قَالَ: فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ الرَّابِعَةُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ فِيمَ أُطَهِّرُكَ؟ فَقَالَ: مِنْ الزِّنَى فَسَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبِهِ جُنُونٌ فَأُخْبِرَ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَجْنُونٍ فَقَالَ أَشَرِبَ خَمْرًا فَقَامَ رَجُلٌ فَاسْتَنْكَهَهُ فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ رِيحَ خَمْرٍ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَزَنَيْتَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ فَكَانَ النَّاسُ فِيهِ فِرْقَتَيْنِ قَائِلٌ يَقُولُ لَقَدْ هَلَكَ لَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ، وَقَائِلٌ يَقُولُ مَا تَوْبَةٌ أَفْضَلَ مِنْ تَوْبَةِ مَاعِزٍ أَنَّهُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ ثُمَّ قَالَ: اقْتُلْنِي بِالْحِجَارَةِ

(١) رواه ابن ماجه [٤٢٥٠] وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب [٣١٤٥].

قَالَ فَلَبِثُوا بِذَلِكَ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلاثَةً ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُمْ جُلُوسٌ فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ اسْتَغْفِرُوا لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: فَقَالُوا غَفَرَ اللَّهُ لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أُمَّةٍ لَوَسِعَتْهُمْ)(١).

القصة الثانية
توبة الغامدية

فعن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ: «أَنَّ امْرَأَةً (يَعْنِي مِنْ غَامِدٍ) أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: إِنِّي قَدْ فَجَرْتُ فَقَالَ: ارْجِعِي فَرَجَعَتْ فَلَمَّا أَنْ كَانَ الْغَدُ أَتَتْهُ فَقَالَتْ: لَعَلَّكَ أَنْ تَرُدَّنِي كَمَا رَدَدْتَ مَاعِزَ بْنَ مَالِكٍ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَحُبْلَى، فَقَالَ لَهَا ارْجِعِي فَرَجَعَتْ فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ أَتَتْهُ فَقَالَ لَهَا ارْجِعِي حَتَّى تَلِدِي، فَرَجَعَتْ فَلَمَّا وَلَدَتْ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فَقَالَتْ هَذَا قَدْ وَلَدْتُهُ، فَقَالَ لَهَا ارْجِعِي فَأَرْضِعِيهِ حَتَّى تَفْطِمِيهِ، فَجَاءَتْ بِهِ وَقَدْ فَطَمَتْهُ وَفِي يَدِهِ شَيْءٌ يَأْكُلُهُ، فَأَمَرَ بِالصَّبِيِّ فَدُفِعَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمَرَ بِهَا فَحُفِرَ لَهَا، وَأَمَرَ بِهَا فَرُجِمَتْ، وَكَانَ خَالِدٌ فِيمَنْ يَرْجُمُهَا فَرَجَمَهَا بِحَجَرٍ فَوَقَعَتْ قَطْرَةٌ مِنْ دَمِهَا عَلَى وَجْنَتِهِ فَسَبَّهَا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ مَهْلاً يَا خَالِدُ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ، وَأَمَرَ بِهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا وَدُفِنَتْ)(٢).

القصة الثالثة
توبة امرأة من جهينة

روى الإمام مسلم بن الحجاج – رحمه الله تعالى – في صحيحه بإسناده إلى عمران بن الحصين الخزاعي رضي الله عنه أن امرأةً من جهينة أتت رسول الله ﷺ وهي حبلى

(١) رواه مسلم [١٦٩٥].
(٢) رواه أبو داود [٣٨٥٣] وغيره وهو في صحيح مسلم.

من الزنا، فقالت: يا رسول الله أصبت حداً فأقمه علي، فدعا نبي الله ﷺ وليها فقال: أحسن إليها، فإذا وضعت فأئتني، ففعل فأمر بها نبي الله ﷺ، فشدت عليها ثيابها؟ ثم أمر بها فرجمت، ثم صلى عليها. فقال له عمر: تصلي عليها يا رسول الله وقد زنت؟ قال: لقد تابت توبةً لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله عز وجل؟!

القصة الرابعة
توبة عابد وامرأة بغي

عن أبي كعب صاحب الحرير عن الحسن قال: كانت امرأة بغي لها ثلث الحسن لا تمكن من نفسها إلا بمائة دينار، وإنه أبصرها عابد فأعجبته فذهب فعمل بيديه وعالج فجمع مائة دينار ثم جاء إليها فقال: إنك أعجبتني فانطلقت فعملت بيدي وعالجت حتى جمعت مائة دينار فقالت: له ادخل فدخل وكان لها سرير من ذهب، فجلست على سريرها ثم قالت له هلم فلما جلس منها مجلس الخاتن ذكر مقامه بين يدي الله فأخذته رعدة فقال لها اتركيني أخرج ولك المائة دينار قالت: ما بدا لك وقد زعمت أنك رأيتني فأعجبتك فذهبت فعالجت وكددت حتى جمعت مائة دينار فلما قدرت علي فعلت الذي فعلت، فقال: فرقا من الله ومن مقامي بين يديه وقد بغضت إلي فأنت أبغض الناس إلي فقالت: إن كنت صادقًا فما لي زوج غيرك فقال دعيني أخرج فقالت: لا إلا أن تجعل لي أن تزوج بي، قال: لا حتى أخرج قالت فلي عليك إن أنا أتيتك أن تتزوجني، قال: لعل فتقنع بثوبه ثم خرج إلى بلده وارتحلت تائبة نادمة على ما كان منها حتى قدمت بلده فسألت عن اسمه ومنزله فدلت عليه فقيل له إن الملكة قد جائتك فلما رآها شهق شهقة فمات وسقط في يدها وقالت: أما هذا فقد فاتني فهل له من قريب قالوا أخوه رجل فقير قالت فإني أتزوجه حبا لأخيه فتزوجته)[1].

(١) التوابين، ص ٧٤-٧٥.

قلت لقد كانت مراقبة الله وتقواه وخوفه من بطشه وعذابه سببا في نجاة الرجل من الفاحشة كما قال الله تعالى: ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا** ﴾ [الطلاق:٢]. وقال الله تعالى: ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا** ﴾ [الطلاق:٤]. وقال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا** ﴾ [الأنفال: ٢٩] .

فمن اتقى الله وخاف منه وخشيته فرق بين الحلال والحرام وبين الحق والباطل ولم يقبضه الله على معصية بل يسارع إلى فعل الخير.

قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ** ﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦١].

فعلى هذا العابد يصدق قول بعض الفضلاء:

وإذا خلوت بريبة في ظلمة ... والنفس داعية إلى العصيان
فاستحي من نظر الإله وقل لها ... إن الذي خلق الظلام يراني

القصة الخامسة
توبة القصاب والجارية

ذكر صاحب كتاب (التوابين) قول بكر ابن عبد الله المزني: (أن قصاباً ولع بجارية لبعض جيرانه فأرسلها أهلها في حاجة لهم إلى قرية أخرى فتبعها فراودها عن نفسها، فقالت: لا تفعل لأنا أشد حباً لك منك لي ولكني أخاف الله، قال: فأنت تخافينه وأنا لا أخافه، فرجع تائبا فأصابه العطش حتى كاد ينقطع عنقه فإذا هو برسول لبعض أنبياء بني إسرائيل فسأله قال ما لك قال العطش قال تعال حتى ندعو الله حتى تظلنا سحابة حتى ندخل القرية قال ما لي من عمل، قال فأنا أدعو وأمن أنت قال فدعا الرسول وأمن هو فأظلتهم سحابة حتى انتهوا إلى القرية فأخذ القصاب إلى مكانه

ومالت السحابة فمالت عليه فرجع الرسول فقال زعمت أن ليس لك عمل وأنا الذي دعوت وأنت الذي أمنت فأظلتنا سحابة ثم تبعتك لتخبرني ما أمرك فأخبره فقال الرسول التائب إلى الله بمكان ليس أحد من الناس بمكانه).

ولأبي علي بن الشبل:

وآنف أن تعتاق قلبي خريدة بلحظ وأن يروى صداي رضاب
وللقلب مني زاجر من مروءة يجنبه طرق الهوى فيجاب

القصة السادسة
توبة عابد من العبدة

يحكى أن رجلا من العباد كلم امرأة فلم يزل حتى وضع يده على فخذها فذهب فوضع يده في النار حتى نشت(١).

قلت: لعله أراد بذلك الفعل أن يذكر نفسه بعذاب الله الشديد في نار جهنم فيقارن بين لذة لحظة وذلك العذاب.

القصة السابعة
قصة توبة رجل عن الفواحش

ذكر صاحب كتاب التوابين عن مالك بن دينار أنه قال كان لي جار يتعاطى الفواحش، فأتى إلي الجيران يشكون منه، فأحضرناه وقلنا له إن الجيران يشكونك فسبيلك أن تخرج من المحلة، فقال: أنا في منزلي لا أخرج قلنا تبيع دارك، قال: لا أبيع

(١) التوابين.

ملكي قلنا نشكوك إلى السلطان قال: أنا من أعوانه، قلنا: ندعو الله عليك. قال: الله أرحم بي منكم، قال: فلما أمسينا قمت وصليت ودعوت عليه فهتف بي هاتف لا تدع عليه فإنه من أولياء الله تعالى فجئت إلى باب داره ودققت الباب فخرج فظن أني جئت لأخرجه من المحلة فتكلم كالمعتذر فقلت: ما جئت لهذا ولكن رأيت كذا وكذا فوقع عليه البكاء وقال إني تبت بعد ما كان هذا ثم خرج من البلد فلم أره بعد ذلك، واتفق أني خرجت إلى الحج فرأيت في المسجد الحرام حلقة فتقدمت إليهم فرأيته مطروحا عليلا فلم ألبث أن قالوا مات الشاب رحمه الله).

القصة الثامنة
توبة فتى من الأزد عن التأنث والتخنث

قال رجاء بن ميسور المجاشعي: «كنا في مجلس صالح المري وهو يتكلم فقال لفتى بين يديه اقرأ يا فتى فقرأ الفتى: ﴿**وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ**﴾ [غافر:١٨] فقطع صالح عليه القراءة وقال: كيف يكون لظالم حميم أو شفيع والمطالب له رب العالمين، إنك والله لو رأيت الظالمين وأهل المعاصي يساقون في السلاسل والأنكال إلى الجحيم، حفاة عراة، مسودة وجوههم، مزرقة عيونهم ذائبة أجسادهم، ينادون يا ويلنا يا ثبورنا ماذا نزل بنا ماذا حل بنا أين يذهب بنا ماذا يراد منا؟ والملائكة تسوقهم بمقامع النيران، فمرة يجرون على وجوههم ويسحبون عليها منكبين ومرة يقادون إليها مقرنين من بين باك دما بعد انقطاع الدموع، ومن بين صارخ طائر القلب مبهوت، إنك والله لو رأيتهم على ذلك لرأيت منظرا لا يقوم له بصرك، ولا يثبت له قلبك، ولا تستقر لفظاعة هوله على قرار قدمك، ثم نحب وصاح يا سوء منظراه يا سوء منقلباه وبكى وبكى الناس، فقام فتى من الأزد كان به تأنيث فقال أكل هذا في القيامة يا أبا بشر؟؟!! قال: نعم والله يا ابن

أخي وما هو أكثر لقد بلغني أنهم يصرخون في النار حتى تنقطع أصواتهم فما يبقى منهم إلا كهيئة الأنين من المدنف فصاح الفتى إنا لله، واغفلتاه عن نفسي أيام الحياة، وا أسفا على تفريطي في طاعتك يا سيداه وا أسفا على تضييعي عمري في دار الدنيا ثم بكى واستقبل القبلة، فقال اللهم إني أستقبلك في يومي هذا بتوبة لا يخالطها رياء لغيرك اللهم فاقبلني على ما كان في واعف عما تقدم من فعلي وأقلني عثرتي وارحمني ومن حضرني وتفضل علينا بجودك وكرمك يا أرحم الراحمين لك ألقيت معاقد الآثام من عنقي، وإليك أنبت بجميع جوارحي صادقا لذلك قلبي فالويل لي إن لم تقبلني ثم غلب فسقط مغشيا عليه، فحمل من بين القوم صريعا فمكث صالح وإخوته يعودونه أياما ثم مات والحمد لله، فحضره خلق كثير يبكون عليه ويدعون له فكان صالح كثيرا ما يذكره في مجلسه فيقول: بأبي قتيل القرآن وبأبي قتيل المواعظ والأحزان قال فرآه رجل في منامه قال ما صنعت قال عمتني بركة مجلس صالح فدخلت في سعة رحمة الله التي وسعت كل شيء)[1]. أهـ

القصة التاسعة
توبة رجل عن حب مغنية شغلته عن الله

ذكر صاحب كتاب التوابين أن رجلا اجتمع إليه أهله وجيرانه فسألوه أن يتزوج فاشترى جارية وكانت تغني وهو لا يعلم، فبينا هو ذات يوم في محرابه يصلي رفعت الجارية صوتها بالغناء، فطار لبه فرام ما كان عليه من العبادة فلم يطق فأقبلت الجارية عليه فقالت يا مولاي لقد أبليت شبابك ورفضت لذات الدنيا أيام حياتك فلو تمتعت بي، فمال إلى قولها واشتغل باللذات عما كان فيه من التعبد، فبلغ ذلك أخا له كان يوافقه على العبادة فكتب إليه (بسم الله الرحمن الرحيم، من الناصح الشفيق،

(١) المصدر السابق.

والطبيب الرفيق، إلى من سلب حلاوة الذكر والتلذذ بالقرآن والخشوع والأحزان، بلغني أنك اشتريت جارية بعت بها من الآخرة حظك، فإن كنت بعت الجزيل بالقليل والقرآن بالقيان، فإني محذرك هادم اللذات، ومنغص الشهوات وموتم الأولاد، فكأنه قد جاء على غرة، فأبكم منك اللسان وهدم منك الأركان، وقرب منك الأكفان واحتوشك الأهل والجيران، وأحذرك من الصيحة إذا جثت الأمم لهول ملك جبار، فاحذر يا أخي ما يحل بك من ملك غضبان، ثم طوى الكتاب وأنفذه إليه فوافاه الكتاب وهو في مجلس سروره فغص بريقه وأذهله ذلك، فنهض مبادرا من مجلس سروره وكسر آنيته وهجر جاريته...قال الذي وعظه فلما مات رأيته في المنام بعد ثلاث فقلت ما فعل الله بك قال قدمنا على رب كريم أباحنا الجنة وقال:

الله عوضني ذو العرش جارية ... حوراء تسقيني طورا وتهنيني
تقول لي اشرب بما قد كنت تأملني ... وقر عينا مع الولدان والعين
يا من تخلى عن الدنيا وأزعجه ... عن الخطايا وعيد في الطواسين

القصة العاشرة
توبة شاب وجارية جميلة بعدما أحب كل منهما الآخر

فعن رجاء بن عمر النخعي قال: (كان بالكوفة فتى جميل الوجه شديد التعبد والاجتهاد وكان أحد الزهاد، فنزل في جوار قوم من النخع فنظر إلى جارية منهم جميلة فهويها وهام بها عقله ونزل بها مثل الذي نزل به، فأرسل يخطبها من أبيها فأخبره أبوها أنها مسماة لابن عم لها واشتد عليهما ما يقاسيان من ألم الهوى فأرسلت إليه الجارية قد بلغني شدة محبتك لي وقد اشتد بلائي بك، لذلك مع وجدي بك فإن شئت زرتك وإن شئت سهلت لك أن تأتيني إلى منزلي فقال للرسول

لا واحدة من هاتين الخصلتين ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

[الأنعام: ١٥، والزمر: ١٣].

أخاف نارا لا يخبو سعيرها ولا يخمد لهبها فلما انصرف الرسول إليها فأبلغها ما قال قالت وأراه مع هذا زاهدا يخاف الله تعالى والله ما أحد أحق بهذا من أحد وإن العباد فيه لمشتركون ثم انخلعت من الدنيا وألقت علائقها خلف ظهرها ولبست المسوح[١] وجعلت تعبد وهي مع ذلك تذوب وتنحل حبا للفتى وأسفا عليه حتى ماتت شوقا إليه فكان الفتى يأتي قبرها فرآها في منامه وكأنها في أحسن منظر فقال كيف أنت وما لقيت بعدي فقالت:

نعم المحبة يا حبيبي حبكا حب يقود إلى خير وإحسان

فقال على ذلك إلى ما صرت فقالت:

إلى نعيم وعيش لا زوال له في جنة الخلد ملك ليس بالفاني

فقال لها اذكريني هناك فإني لست أنساك فقالت ولا أنا والله أنساك ولقد سألتك ربي مولاي ومولاك فأعانني على ذلك بالاجتهاد، ثم ولت مدبرة فقلت لها متى أراك قالت ستأتينا عن قريب فلم يعش الفتى بعد الرؤيا إلا سبع ليال حتى مات، رحمهما الله)[٢].

القصة الحادية عشرة
توبة عبد أراد الله به خيرا

روى عبد الله بن مغفل أن رجلا لقي امرأة كانت بغيا في الجاهلية فجعل يلاعبها حتى بسط يده إليها فقالت مه فان الله قد أذهب الشرك وجاء بالإسلام فتركها وولى فجعل يلتفت خلفه ينظر إليها حتى أصاب الحائط وجهه، فأخبر النبي ﷺ بالأمر فقال

(١) لبس المسوح عند الزهد والتوبة ليس من هدي السلف.

(٢) التوابين.

أنت عبد أراد الله بك خيراً ثم قال إن الله إذا أراد بعبده شراً أمسك ذنبه حتى يوافى به يوم القيامة)[١].

القصة الثانية عشرة
منحرف رأى رؤيا صالحة فتاب إلى الله واستقام على الدين

وهذا شاب تعلق قلبه بحب النساء والمردان والشذوذ الجنسي، يقضي معظم وقته في مشاهدة الأفلام الجنسية أو المغازلة بالهاتف، كان يشعر رغم استمتاعه وتلذذه بالشهوات أن هناك فراغا في نفسه وضيقا في صدره وهماً في قلبه، كلمه أحد الدعاة إلى الله عز وجل وذكره الموت:

فارقت موضع مرقدي يوما ففارقني السكون القبر أول ليلة بالله قل لي ما تكون

تأثر وبكى وسلك طريق الهداية، لكن تلك المناظر الرهيبة التي كان يشاهدها في الأفلام كانت تقلق باله وتنغص عيشه، وكان أصدقاء السوء يدعونه إلى السفر معهم إلى بلاد الإباحية ويقولون كيف تركتنا لا يمكنك ذلك، أخذ يبكي وهو يعلم ضعف نفسه وقلة حيلته، أخبر بعض الدعاة بحاله وتفكيره في السفر فنصحه ذلك الداعية برفق وذكره بقول الله عز وجل ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [العنكبوت: ٦٩]. فقوي عزمه وترك أصدقاء السوء وصبر فترة يجاهد نفسه، ولكن تلك الأفكار الخبيثة لم تتركه وفي تلك الليلة بعد دموع ساخنة وهموم كثيرة نام فرأى رؤيا صالحة استيقظ على نداء الله أكبر توضأ وذهب لصلاة الفجر يشعر أنه فقط يريد أن يبكي أخذ يبكي ويبكي، وفعلا هدأت نفسه بعد تلك الرؤيا واستقامت حياته نسأل الله أن يثبتنا وإياه)[٢]. اهـ

---

(١) رواه أحمد [٤ / ٨٧] وصححه شعيب برقم [١٦٨٠٦] وهو في الصحيحة [١٢٢٠].
(٢) علاج الانحراف في ضوء الإسلام، ص ٥٣ – ٥٤ .

القصة الثالثة عشرة
توبة شاب على يد امرأة

يقول هذا الشاب: (أحضر من العمل بعد الساعة الثالثة وآخذ قسطا من الراحة وفي المساء ألبس أحسن ثيابي وأخرج لأتجول في الشوارع ليس لي هدف معين. خرجت يوما كالعادة فوجدت امرأة تسير بمفردها وتبعتها إلى أن دخلت منزلها، فطرقت لها الباب ففتحت الباب وقالت مرحبا!! دخلت معها أحضرت لي كوبا من العصير ثم قالت ماذا تريد؟ قلت أريدك قالت هل لك أخوات؟ قلت لا، قالت: هل لك خالة هل لك عمة؟ وهل تقبل هذا العمل في أختك أو في خالتك؟ صمت قليلاً وقبل أن أرد نفسي، قالت: هل تدري لماذا فتحت لك الباب وأدخلتك إلى منزلي؟ قلت: لا، قالت: لأني أراك منذ زمن بعيد وأنت في هذه الشوارع وأردت أن أنصحك لوجه الله في إمكاني أن أتصل على زوجي أو أخي أو الجيران ويحصل لك ما لا تريده، ولكني قلت أنصحك لعلك ترجع من مثل هذا العمل وتخاف الله الذي خلقك فسواك فعدلك، وتكون عضوا صالحا للمجتمع الذي تعيش فيه، واتق الله في نفسك وفي الآخرين...تمالكت على نفسي وقمت وهممت بالخروج، قالت: أخرج من حيث أتيت ولا تعد لمثل هذا العمل. خرجت من منزلها وأنا لا أعلم إلى أين أنا ذاهب، قضيت أسبوعا كاملا في المنزل لم أخرج، بعد أسبوع ذهبت لأزور بعض الأصدقاء وفي الطريق قابلتني نفس المرأة ومعها زوجها، قالت: لزوجها هذا هو الشاب الذي علمتك بقصته، قال لي أنت الذي.. قاطعته قائلا لا لست أنا المعني تبسم في وجهي وقال لزوجته إنه مريض شفاه الله، ثم انصرفا قلت أنا مريض! كانت لهذه الكلمة وقعة شديدة في قلبي أنا مريض! لا لا أنا لست مريضاً، ودخلت في صراع مع نفسي ومن هناك غيرت اتجاهي وذهبت لصديق قديم كان معي وتركني وتاب إلى الله وحكيت له قصتي قال لي اسمع يا صالح أنت فعلا مريض وتحتاج إلى علاج وأنا كنت مريضا مثلك فتعالجت منه ولماذا لا تعرض نفسك على الطبيب؟ قلت هل نذهب إلى

طبيب نفساني؟ ضحك وقال لا اذهب إلى طبيب القلوب الله رب العالمين وتتوب إليه فإنه سبحانه وتعالى يفرح بتوبة العبد فسارع إليه وتب واقلع عن ذنبك واحمد الله الذي نجاك من الهلاك، قلت له هل أنت سعيد يا علي؟ قال نعم وأي سعادة جربها بنفسك فأنا وقتي كله سعادة من العمل إلى المنزل وبدل التسكع في الشوارع أذهب إلى المسجد وإلى تحفيظ القرآن والدروس أتعلم الدين الصحيح ومن ذلك الوقت تبت إلى الله توبة نصوحا لعل الله أن يرحمني برحمة من عنده والحمد لله الذي هداني ونجاني من الهلاك والصلاة والسلام على رسوله الأمين.

أسأل الله أن يجزي تلك المرأة خير الجزاء لأنها تعاملت معي بالحكمة والموعظة الحسنة وأنا أدعو لها في جميع صلواتي[١].

(١) دموع النادمات في قصص التائبات، ص ٥٦-٥٧ .

obeikandl.com